الفصل السابع

سلك الوظيفة

* دخل سلك الوظيفة وكيل نيابة فى الأرياف .
* عندما كان يصيف مع المتهمين على الشاطئ .
* موقف حرج بين مدير التحقيقات وبين الوزير .
* عوقب بخصم ١٥ يوما من مرتبه بسبب مقال سياسى .
* عندما أوحى بإنشاء وزارة الشئون الاجتماعية .
* جمال عبد الناصر طرد وزيرًا من أجل مدير دار الكتب .

* * *

وكيل نيابة فى الأرياف

وبدأت صفحة جديدة فى حياة الأديب الكبير الراسب فى دكتوراه القانون ، ليمضى فى رحلة الوظائف القضائية ، ويعيش وجهًا لوجه مع الجريمة والمجرمين .

لقد ألحق بوظيفة فى نيابة القضاء المختلط بالإسكندرية تحت التمرين ، توطئةً للتعيين .

كانت تطنّ فى أذنه كلمة أحمد لطفى السيد ، قبل سفره إلى باريس بتعيينه بعد العودة فى القضاء المختلط ، ليقيم فى المدن الكبرى ، لكن ذلك لم يتحقق له ، فلم يثبت فى تلك الوظيفة .

وفى كتاب « وثائق من كواليس الأدباء » يقول :

– عدت إلى مصر نهائيًا فى نوفمبر ١٩٢٨ رحمةً بوالدى القلق على مستقبلى لكنى لم أجد وظيفة المحكمة المختلطة ميسرة . فالوا إن الأمكنة وهى « شحيحة » غير خالية . كان فى مصر ثلاث مدن فقط ، هى التى بها محاكم مختلطة ، القاهرة والإسكندرية والمنصورة . والعمل فيها بالنسبة إلى المصريين قليل لأن الأجانب هم الذين يشرفون عليها ويعملون ؛ ولذلك كان يحتفظ بهذه الأمكنة المريحة لأصحاب الجاه والسلطان من المصريين . وكان النائب العام فى ذلك الوقت رجلاً بلجيكيًا من أكابر رجال القانون فى بلاده ، لم يستطع أن يعد بتعيينى ، غير أنه قبل أن يلحقنى بالوظيفة تحت التمرين . ومكثت على هذا

العمل نحو عام دون فائدة . فقد كان التفضيل دائمًا لأبناء الوزراء وأقارب الوزراء ورؤساء الوزارات .

ولما يئس والدى سعى فى تعيينى بالنيابة الأهلية وعينت فى نيابة طنطا ، ومنها توغلت فى الأقاليم من دمنهور إلى كوم حمادة إلى إيتاى البارود إلى دسوق إلى فارسكور . إلخ : وعشقت حياة الأرياف .

وقدّر لرجل القانون الأديب العائد من باريس ، أن يبدأ السلم من أوّله فى سلك القضاء الأهلى ، بعد أن أمضى بضعة شهور أو نحو عام فى القضاء المختلط .

فقد عيّن بعد عام من وصوله من باريس وكيلاً للنائب العام فى مدينة طنطا .

وكتب إلى صديقه الفرنسى « أندريه » عدة رسائل من « طنطا » فى كتاب « زهرة العُمر » يقول :

— « أهنئك بالنوبل » وبالعام الجديد من « طنطا » (لعله يقصد مطلع عام ١٩٣٠) فقد عينت وكيلاً للنيابة فى هذه المدينة . إنها عاصمة إقليم يعدّ أكبر أقاليم القطر المصرى . لك أن تفخر إذن بصديقك بعض الفخر . إنى مطمئن كما ترى بعض الاطمئنان . فالعمل فى القضاء قد قضى على الكثير من هواجسى الأولى . إنى أبتّ الآن فى حياة الناس . وأطلب رؤوس الناس ، فيجب على الأقل أن يكون لى رأس يدرى ما يصنع . ومع ذلك كلاّ . لست فى الاطمئنان الذى تظن .

إنى أقطن المنزل النظيف الوحيد فى هذه المدينة ، وهو « بنسيون » يحوى من النزلاء ثلاثةً من الفرنسيين ، وإنجليزيًّا واحدًا ، واثنين من الألمان وهم من

المدرسين وموظفى البنك .

إن نافذة حجرتى تشرف على ميدان « الساعة » ولكى تعرف أهمية هذا الميدان يكفى أن أخبرك أنه فى « طنطا » بمثابة ميدان « الكونكورد » فى باريس .

إنى أعيش فى جوّ الجريمة ، وأحيانًا فى عالم الغرائز الدنيا . إنى مع القبح اللاآدمى ، المادىّ والمعنوى ، ليل نهار ، وجهًا لوجه .

إن مجرد وصف عملى ومقداره خصوصًا فى فصل الصيف ليحتاج إلى إفراد رسائل طويلة . تصوّر أنى أعمل بدل ثلاثة من الزملاء ، إذ ليس لى إجازة هذا العام ، أو الأصح ، إنى نزلت عنها للآخرين ، شهامةً منى أو حماقة ! .

البرنامج اليومى كالآتى :

عمل فى دار النيابة من الثامنة صباحًا إلى الثالثة بعد الظهر ، ومن الخامسة مساءً إلى الثامنة ، لتحقيق جرائم التلبّس وقضايا المكتب ، هذا عدا القيام لضبط الحوادث الليلية .

نعم ! ذلك أن وكيل النيابة فى مصر هو مخلوق فريد فى نوعه فى عالم المخلوقات القضائية ، فهو يقوم بعمل النيابة وقاضى التحقيق معًا ، وفى نفس الوقت ، بالمعنى المعروف لهذين العملين المنفصلين فى فرنسا وإنجلترا ودول الأرض قاطبة .

لذلك ترانى عدا عمل النهار الشاق أقوم كل ليلة تقريبًا ، لأضرب فى كل طرف من أطراف مديرية الغربية ، حتى ضجّت بالشكوى « مدام بلا شان » صاحبة « البنسيون » وضجّ معها النزلاء ، من طرق الخفراء ليلاً على الباب لايقاظى وضججت أنا بالطبع ، وأصابنى الأرق والسهاد . كل هذا أيضًا عدا الجلسات .

أتدرى كم جلسة علىّ حضورها فى الأسبوع ؟ أربع جلسات . وهذا أيضًا خلاف الإيراد اليومى ، وهو لا يقل عن خمسين ملفًا ، تحوى قضايا من كلّ لون وصنف جنح ومخالفات وعوارض ، وشكاوى إدارية ، يجب فحصها وقيدها وتقديمها للمحكمة أو حفظها . كلّ ذلك فى يوم ورودها .

لقد قلتها ذات مرة فى صيحة وأنا أكاد أجن :

– إن وظيفة وكيل نيابة مصرى ، هى أشق عمل فى العالم كله . ولا يستثنى من ذلك إلاّ عمل جندى الخنادق فى الحرب العظمى .

ثم عاود الكتابة إليه من مدينة دسوق التى نقل إليها بعد عام – لعل ذلك فى عام ١٩٣١ – فكتب يقول :

– وإنى أكتب إليك الآن من مدينة صغيرة على النيل ، تدعى « دسوق » هى مع ذلك مركز من أهم مراكز القطر . لقد أسندوا إلىّ أعمال نيابتها ، فوجدت نفسى أمام عمل هالنى من الكثرة والخطورة . إن قاضى المحكمة لا يقيم فى المدينة ، فهو يحضر جلستيه ويذهب . وبهذا صرت أنا الرئيس المسئول عن شئون النيابة والمحكمة لقد تبين لى بعد أسابيع قليلة أنى أنا الرئيس المتصرف فى هذه المدينة كلها . فالبوليس والإدارة والصحة والهندسة والرى والزراعة ، وكل فروع الحكومة المختلفة تصب مشاكلها بين يدى ، حتى فيما لايقع تحت طائلة القانون ، وما يكتنى فيه بالنصح والإرشاد ، والمصالحة والتوفيق وإقرار النظام بالحسنى .

كل ذلك يحتاج إلى رأسى ، ولكلمتى فيه المقام الأوّل ، لقد شعرت حقًّا بعبء المسئولية . فدفعنى ذلك إلى العمل المضنى .

لقد وضعت نظامًا دقيقًا للعمل لا أنحرف عنه قيد شعرة . إنى أعمل نهارى

كله . من الصباح حتى الثانية بعد الظهر . ومن الرابعة حتى السابعة ، فأخرج للنزهة ساعة فوق جسر النيل . تلك هى الساعة التى تسمح لى فيها تبعاتى أن أتحرر قليلاً لأعود إلى نفسى وذكرياتى .

حضرات المتهمين المصيفين

وتنقل صاحب رواية « يوميات نائب فى الأرياف » بين كثير من الأقاليم فندب بعد العمل بين طنطا ودسوق فى الغربية ، إلى فارسكور قريبًا من دمياط ، وفرح بذلك كثيرًا ؛ لأن هذا العمل سيتيح له قضاء فترة من الصيف على شاطئ البحر ، لكنه فوجئ بعد السفر ، بأن مقر عمله فى حوارى البلد بعيدة عن البحر ، وأن المسكن غير مريح . فسمح له النائب العام بالإقامة فى دمياط أو رأس البر ، على أن يحضر إلى فارسكور كلّ صباح .

ولم يتح له ذلك فرصة تمضية الصيف على شاطىء البحر ، بل أتاح أيضًا للمتهمين فرصة الاصطياف ، لأنه كان يأتى بهم مقيدين بالسلاسل ، لاستجوابهم على الشاطئ . فسعد المتهمون بذلك أشدّ السعادة .

وذات مرة ، طلب من العساكر ، تشديد الحراسة على المتهمين ، خوفًا من الهرب ، وإذا به يسمع أحدهم من المقيدين بحبال الليف ، يقول :

– نهرب ليه ؟ ربنا يخليك ياسعادة البيه ، حد يهرب من الجنة ! فيقول لهم :

– اتمتعوا بالهوا المنعش . تمتعوا .

وإذا به يسمع أحدهم يقول :

– جعنا يا سعادة البيه . الهوا جوّعنا !

فيقول لهم :

– ما شاء الله . إنتم جايين تغيروا هوا .

فيعطف عليهم وينسى أنهم مجرمون ومتهمون . ويدفع إلى الحراس بعشرة قروش ويقول لهم :

– خدوا اشتروا عيش وحلاوة طحينية لحضرات المجرمين المصيفين .

ولذلك كان كلما أصدر قرارًا بالإفراج عن متهم ، يسمعه يصيح وهو يملأ رئتيه من هواء رأس البر قائلاً :

– ده ظلم يابيه . أنا لسه مقبوض على النهارده .

الطاجن وصل

ونقل كذلك إلى دمنهور ، وأقام فى مسكن مع اثنين من زملائه فى القضاء هما قاضى البندر وقاضى إيتاى البارود ، وهما متزوّجان ولهما بيتاهما فى القاهرة وكانت مشكلتهم فى الطعام . فاقترح عليهم حاجب المحكمة ، أن تعدّ لهم زوجته الطعام فى بيته ثم يحمله إليهم ساعة الغداء . وكان الطعام اليومى عبارةً عن طاجن فخار بالبطاطس واللحم فى الفرن ، يتقاسم ثلاثتهم فى ثمنه . كان موعد الغداء فى الساعة الواحدة ، لكنهم كثيرًا ما كان يستغرقهم العمل فى غرفة الجلسة ، فيدخل عليهم الحاجب ، قائلاً :

– الطاجن وصل .

فيسرعون إلى رفع الجلسة فى الحال ، للحاق بموعد الطاجن .

لكن الطاجن لم يكن يكفى ثلاثتهم ، خصوصًا أن أحدهم كان أكولاً ، ففكروا فى شراء صينية نحاس تتسع لقدر أكبر من البطاطس واللحم ، ثم أحجموا عن الشراء بعد أن اتضح لهم أن ثمنها باهظ يصل إلى ستين قرشًا .

حتى وقع بين أيديهم فى المحكمة متهم صناعته الصوانى النحاس ، فتركوا استجوابه فى التهمة الموجهة إليه ، وأخذوا يسألونه عن ثمن تلك الصوانى بأحجامها المختلفة .

ثم اضطرته حياة التنقل والترحال من بلد إلى بلد ، والإقامة بمفرده إلى تدبير طعامه بنفسه ، حيث كان أثناء إقامته فى باريس ، لا يجيد سوى طهى الأرز المسلوق بالماء ، ولما أصبح وكيل نيابة فى الأرياف . بدأ يجيد طهى صينية البطاطس التى صارت فيما بعد مثلاً فى كل أحاديثه عن المرأة المثالية ، التى يطالبها بإجادة صنع صينية البطاطس .

مدير إدارة التحقيقات

وظلّ فى سلك الوظيفة نائبًا فى الأرياف أربع سنوات ، ثم نقل إلى القاهرة فى عام ١٩٣٣ فى سلك القضاء أيضًا مديرًا لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف فى عهد وزيرها وقتئذ حلمى عيسى باشا .

والفضل فى ذلك يرجع إلى صديقه الدكتور حلمى بهجت بدوى الذى بذل المساعى فى سبيل هذا النقل لدى عمّه عبد الحميد بدوى باشا الذى كان يشغل حينذاك منصب مدير قضايا الحكومة .

فقد أصدر عامئذ مسرحية « أهل الكهف » التى أحدثت ضجةً أدبيةً

جعلت النائب العام يستدعيه إلى مكتبه ونصحه بأنه كان من الأفضل لو أنه برز بمؤلف فى القانون . فانتهز الحكيم هذه الفرصة وأجاب قائلاً : بأنه من الأنسب لحياته الأدبية ، وما قد تثيره من ملابسات لا ينبغى أن تؤثر على منصبه القضائى أن يحول إلى وزارة المعارف العمومية .

يتحدث الحكيم فى كتاب « وثائق من كواليس الأدباء » عن تلك الوظيفة فيقول :

– كانت فى مبدأ الأمر وظيفة مفتش تحقيقات الوزارة ، ثم أصبحت إدارة بعد أن نظمتها ووسعت اختصاصاتها ، وألحق بها عدد من المفتشين المحققين من خريجى كلية الحقوق . وكانت إدارة التحقيقات هذه هى أوّل إدارة من نوعها فى الحكومة . ولم تلبث أن عممت فى الوزارات الاخرى . فإذا بكل وزارة قد أنشىء فيها إدارة للتحقيقات ، وكان يجيئنى مديرو هذه الإدارات ليقتبسوا عنى النظم التى أنشأتها فى إدارتى باعتبارها الأولى . إلى أن أنشئت فيما بعد النيابة الإدارية ، فركز فيها عمل إدارات التحقيقات الموجودة فى جميع الوزارات .

وأقام وقتئذ فى مسكن مشترك فى الجيزة مع صديقه حلمى بهجت بدوى ، ثم انفصل عنه وأقام بمفرده فى فندق .

لكن صديقه وزميله فى وزارة المعارف عبد الرحمن صدقى ، ذكر فى مقال منشور فى العدد الخاص الذى صدر عنه فى مجلة الهلال ، يقول :

– إنه كان يقيم وقتئذ فى شقة على النيل ، فى عمارة كبيرة قريبًا من الوزارة ، لم يغيرها بعد زواجه ، وهى شقته الحالية فى العمارة رقم ١٠٩٥ شارع كورنيش النيل .

ويتحدث عن كرمه المعروف ، فيقول :

– إنه كان يدعونى إلى بيته ومشاركته فى طعامه فى حدود المعروف عن اقتصاده طبعًا !

وكان الخادم الذى يقوم بمهام البيت ، يتولّى طهو الطعام ، ثم يتعلّم الخدمة على الخوان بمعاونة صاحب البيت والضيف الوحيد .

كان فى ذلك الوقت ينشر فى مجلة الرسالة « يوميات نائب فى الأرياف » بعد صدور مسرحيته « أهل الكهف » التى أثارت الاهتمام والتقدير لدى شيوخ الأدب المشاهير ، وما دار حولها من اللغط والأخذ والرد عند غيرهم على نطاق كبير .

وتحدث عن تبرمه بتلك الوظيفة ، فقال :

– كانت تقارير المحققين الذين يعملون معه فى مكتبه ، تعرض عليه أكداسًا فى الكبيرة والصغيرة ليقضى فيها برأيه ، وكان دائمًا إلى جانب اللين مع مطابقة للقوانين ، فلا جرم وهو الفنان الأديب ، يأخذه الملل من هذا الجوّ الرتيب إذ كانت التحقيقات مع موظفى الوزارة معظمها من حيث موضوعها قريب من قريب .

وتحدث عن لقاء لا يسرّ بين مدير التحقيقات الفنان الأديب ، وبين وزير المعارف فى تلك الأيام وهو القانونى الضليع محمد نجيب الهلالى باشا ، فقال :

– كان اللقاء حول ملف من ملفات التحقيق ، قرأه الوزير بكلّ تفصيلاته ولم يكن قد قرأه بعد مدير التحقيقات ؛ ولذلك خرج من هذا اللقاء واجمًا . ولمّا استوضحته ما حدث ، قال لى : « انقلبت الأوضاع ، لقد كنت فى عدم إحاطتى بالتفاصيل أجدر بأن أكون الوزير ، بينما بدا لى الوزير كأنه يريد أن يقنعنى بأنه أجدر منى بوظيفة المدير ! »

خصم ١٥ يومًا من مرتبه

وفى أثناء عمله مديرًا للتحقيقات كتب مقالاً فى مجلة « آخر ساعة » بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٣٨ بعنوان : « أنا عدّو المرأة والنظام البرلمانى » أثار ضجةً البت وزارة محمد محمود باشا التى كانت وقتئذ فى الحكم بعزلة من الوظيفة ، ن وزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل باشا قام بتخفيف العقوبة إلى صم خمسة عشر يومًا من مرتبه .

ولما أصبح مغضوبًا عليه من حكومة ذلك العهد ، فكرت الوزارة فى خلص منه ، نظرًا إلى أنه ظلّ يجاهر بآرائه السياسية التى استحق عليها قوبة ، وانتهزت فرصة سفره إلى أوربا فى أجازة صيف ١٩٣٩ وإذا به يفاجأ وزارة تنشىء إدارةً جديدةً باسم « إدارة التمثيل والموسيقى » ونقلته إليها من ارة التحقيقات .

مدير الدعاية والإرشاد الاجتماعى

وكان هذا الكاتب الملهم ، الذى يبنى قصورًا من الخيال على الورق ، قد استطاع أن يبدع من الخيال وزارة جديدة فى الواقع .

كتب فى عام ١٩٣٩ مقالاً يقترح فيه إنشاء وزارة جديدة باسم « وزارة الأوقاف والحياة الاجتماعية » .

ولما تشكلت وزارة على ماهر باشا فى هذا العام ، أخذ بهذا الاقتراح ، وأنشأ

وزارة مستقلةً عن وزارة الأوقاف باسم « وزارة الشئون الاجتماعية » واختار صاحب الاقتراح ، ليشغل فيها منصب مدير مصلحة الدعاية والإرشاد الاجتماعى .

وضمّت إلى الإدارة الجديدة أشتات الإدارات الأخرى المتشابهة فى الاختصاص فى الوزارات المختلفة ، وكان من بين إدارات وزارة الشئون الاجتماعية إدارة باسم إدارة الدعاية والإرشاد الاجتماعى ، كان من اختصاصها المسرحى والموسيقى والسينما والإذاعة والموالد ، فضمت إليها إدارة التمثيل والموسيقى بوزارة المعارف التى كان يرأسها . بذلك نقل من المعارف إلى الشئون الاجتماعية .

يحال إلى المعاش وعمره ٤٥ سنة

عندما كان مديرًا لإدارة الدعاية والإرشاد بوزارة الشئون الاجتماعية عام ١٩٤٣ وهو فى الخامسة والأربعين ، كان الوزير الفنان عبد الحميد عبد الحق باشا يشغل منصب وزير الشئون الاجتماعية ، وكان كثيرًا ما يترك مكتبه ويجلس فى مكتب مدير الدعاية والإرشاد .

ويروى الحكيم ، كيف استقال وقتئذ من الوظيفة الحكومية ، فيقول :

– فى ذات يوم دخل علينا الموسيقار محمد عبد الوهاب ، قائلاً : « إنه ذهب إلى حجرة الوزير ، فلم يجده هناك ، وقالوا له إنه فى حجرتى » .

ونظر إلى عبد الوهاب وقال :

– وأنت بتعمل إيه هنا ؟ . قم . قم . أنت فنان إزاى تقعد على مكتب

حكومى ؟ اهرب من المكتب والوظائف وانطلق بحريتك . قدّم استقالتك بسرعة .

والتفت إلى الوزير ، وقال له :

– أنت وزير فنان تسمح له إزاى يبقى موظف ؟

فقال الوزير :

– أنا مستعد أقبل استقالته فى الحال وأدبر له المعاش المناسب . ويعيش على كيفه .

ودخل هذا الكلام فى عقلى ، فكتبت فى الحال استقالتى ، وأشرّ عليها الوزير بالموافقة ، وقال إنه سيبادر بإعداد مذكرة لمجلس الوزراء يقترح فيها إحالتى إلى المعاش على أساس منحى درجة مع إضافة سنتين . . والدرجة والحمد لله موجودة فى مصلحة العمل ، ويستحقّها موظف قديم .

ولكن الوزير سينقلها نقلاً مؤقتًا لمنحها لى أخرج عليها إلى المعاش ، وبخروجى تخلو الدرجة ، فتعود وتمنح للموظف الذى يستحقها وينتظرها .

وقال لى :

– إياك أن تأخذ هذه الدرجة وتقعد عليها وتبلّط وتبقى فى الخدمة وتضيع الترقية على مستحقّيها الغلبان .

فأكدت له أنى لست بهذه السفالة والنذالة وعدم الإنسانية . وفعلاً لم تمض أسابيع حتى وجدت نفسى فى الشارع حرًّا طليقًا بلا شغل وفى يدى جواب الإحالة إلى المعاش . وهو فى الصورة الرسمية الروتينية الجافة يشبه الرفتية .

وكان المعاش الذى تقرر لى هو خمسة عشر جنيها شهريًّا ، مع مبلغ ستمائة جنيه مرتبات السنتين المضافتين ، وقد وضعت هذا المبلغ فى حساب فتحته بالبنك

الأهلى المصرى . أما المعاش الشهرى ، فقد كان يكفى أجر البنسيون الذى أسكنه وقتذاك . لأنى لم أكن تزوجت .

وبدأت أشعر بالفراغ والضياع ، أنا الذى تعوّدت منذ سنين الذهاب فى الصباح إلى عمل حكومى منتظم . أجد نفسى فجأة فى الشوارع بلا شغل .

وبحثت عن قهوة أجلس فيها طول النهار ، فوجدت قهوة « ريتز » برصيفها الضيق هو المكان المناسب . كان الرصيف لا يتسّع إلا لكرسى واحد ، فقال الخبثاء ، إنى اخترت ذلك منعًا من استقبال ضيف . كما اخترت هذه القهوة بجوار البنك الأهلى ، حتى أحرس مبلغ رصيدى فيه .

ومرت الأيام وأنا لا أفعل شيئًا غير المجىء إلى هذه القهوة بانتظام كل صباح وقت فتحها ، وعرف الجرسونات موعد حضورى مع موعد فتح القهوة ، ورّص الكراسى والموائد فوق الرصيف ، فكان أحدهم يقول للآخر : « صف الكراسى والترابيزات وتوفيق الحكيم » .

وانتهى بى الأمر إلى أن سئمت هذه الحياة . ولعنت اليوم الذى سمعت فيه كلام من أغرونى بالإحالة إلى المعاش وقولهم إن هذه هى عيشة الفنان .

الكاتب الصحفى

لكن صاحب القلم لا يمكن أن يشكو الفراغ ، فقد كان يواصل مسيرته ككاتب روائى ومسرحى ومفكر ، ويغذى الصحف والمجلات بثمار قلمه ، بالكتابة إلى الأهرام ودار الهلال والرسالة وآخر ساعة ، بجانب الإدلاء بأحاديثه الصحفية ، إلى أن التحق فى منتصف عام ١٩٤٥ بالعمل كاتبًا فى دار « أخبار اليوم »

لقد شارك فى تحرير العدد الأوّل من أخبار اليوم الصادر فى يوم ١١ نوفمبر ١٩٤٤ بمقال قصير بعنوان « حمارى يشتغل بالسياسة » تقاضى عليه مبلغ جنيهين فقط ، ومقالاً ثانيًا فى العدد الصادر بتاريخ ١٦ ديسمبر بعنوان « توفيق الحكيم بقلم توفيق الحكيم » ، ثم انقطع عن الكتابة إليها ليكتب إلى الصحف الأخرى ، خصوصًا مجلة « آخر ساعة » التى نجح صاحبها محمد محمد التابعى فى إغرائه بقصر إنتاجه عليها .

فقد دعاه إلى رحلة الشتاء فى مدينة الأقصر ، وأقام خلالها فى أفخم فنادقها وهو فندق « ونتر بالاس » وبلغت نفقاته فى تلك الرحلة – كما ذكر لى الحكيم – مبلغ خمسمائة جنيه ، فوجد من واجبه ردًّا على ما بذله التابعى من سخاء فى تلك الدعوة أن يخّص آخر ساعة بمقالاته وقصصه القصيرة .

ثم انضم إلى أخبار اليوم فى شهر يوليو عام ١٩٤٥ .

حدثنى كيف قبل العمل كاتبًا صحفيًّا ، فقال :

– كنت أجلس ظهر ذات يوم فى مكانى المختار فى قهوة « ريتز » وإذا بى أفاجأ بسيارة تقف على رصيف القهوة ، وينزل منها التوأمان مصطفى أمين وعلى أمين وكامل الشناوى .

وقال لى كامل :

– إنت قاعد هنا بتعمل إيه ؟ تعال معانا .

– على فين ؟

– تعال اتغدى معانا فى كازينو الحمام .

فرحبت بتلك الدعوة ، وركبت معهم السيارة وإذا بهم يتجهون بى إلى دار

أخبار اليوم التى كان مقرها وقتذاك فى الدور العلوى فى العمارة رقم ٤٣ شارع قصر النيل .

وهناك طلبوا منى أن أكتب فى الجريدة الأسبوعية بانتظام ، وتخصيص مكتب لى فى الدار .

وتلتقط الكاتبة مى شاهين فى كتاب « شارع الصحافة » الخيط من توفيق الحكيم وتصف يوم دخل أخبار اليوم لأوّل مرة ، وتقول :

– فى أحد الأيام فوجئنا بتوفيق الحكيم يدخل غرفتنا . وكان يبدو عليه أنه يفكر فى موضوع خطير يسبب له قلقًا وهمًّا . كان شاردًا كالعادة ، والعصا التى يمسكها بيده تهتز بسرعة فى حركة عصبية ، ولم يمنعه القلق أو الغضب من إغلاق النوافذ خوفًا من الزكام .

وسألناه عما به فلم يجب إلاّ بجملة لم نفهم منها شيئًا . أخذ يهزّ العصا ويقول : « لا . كله إلاّ هذا . » .

وأفصح لنا أحمد الصاوى محمد عن سر هذا القلق ، وهو أن على أمين طلب منه أن يكتب مقاله القادم فى السياسة ، وتوفيق الحكيم من رأيه أن مهمة الأديب الكتابة فى الأدب وأن يبتعد ما أمكن عن السياسة . ولكن على أمين يخالفه فى هذا الرأى ، ويصر على أن الأديب يجب أن يتناول بقلمه كل موضوع .

ومضى أسبوع ولم نر توفيق الحكيم . فقد اعتكف فى منزله فزعًا من الاشتغال بالصحافة . ولكن على أمين ظلّ يطارده كل يوم ، وكانت الغلبة لعلى أمين فى آخر الأمر . فقد ظهر عدد أخبار اليوم بتاريخ ٩ مارس عام ١٩٤٦ وبه مقال لتوفيق الحكيم بعنوان « آراء فى السياسة » .

لكن ماكتبته مى شاهين عن أن هذا أوّل مقال كتبه فى السياسة لا يخلو من مبالغة ، فقد كان أوّل ماكتب فى السياسة مقال « أنا عدوّ المرأة والنظام البرلمانى » فى عام ١٩٣٨ الذى عوقب عليه بخصم خمسة عشر يومًا من مرتبه حين كان مديرًا لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف . كما كان أوّل مقال نشره فى العدد الأوّل من أخبار اليوم بعنوان « حمارى يشتغل بالسياسة » .

وإذا كان على أمين قد جعله يعود إلى الكتابة فى السياسة بانتظام ، فإن مصطفى أمين قد تآمر عليه ، ليخوض تجربة أخرى جديدة ، وهى أن يعمل مراسلاً لأخبار اليوم .

فقد جعله يستقل طائرةً حربيةً مع عشرين ضابطًا مصريًّا إلى سوريا ليكتب من هناك تحقيقًا صحفيًّا بمناسبة الجلاء عن سوريا ، وكانت رسالته الأولى من دمشق المنشورة فى عدد أخبار اليوم بتاريخ ٢٠ أبريل موجهة إلى مصطفى أمين . استهلها بقوله :

– هذا خازوق والسلام . لم أستطع الكتابة كما أريد لأن الوقت ضيق ، لست أدرى ماذا أكتب من فرط العجلة وأمرى لله . لن أسامحك على هذه الفكرة التى « شحططتنى » وجعلتنى معتقلاً فى دمشق .

وتمضى مى شاهين وتقول :

– وتبع المقدمة مقال رائع يصف احتفال سوريا بالجلاء عن أراضيها . والواقع أن المقال كان مفاجأة كبرى . ولم نكن نصدق أعيننا فى أوّل الأمر .

وظلّ يعمل فى أخبار اليوم ستّ سنوات إلى أن استقال منها عام ١٩٥١ ليعود إلى الوظيفة الحكومية .

فقد جاءت وزارة الوفد إلى الحكم ، التى شغل فيها صديقه الدكتور طه

حسين باشا منصب وزير المعارف ، فعينه مديرًا لدار الكتب فى درجة مدير عام .

ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجاءت حركة التطهير لم يسلم منها المفكر الكبير ، إذ طالب وزير المعارف وقتئذ إسماعيل القبانى بإخراجه من وظيفته بدار الكتب لأنه غير منتج ، فحماه الرئيس السابق جمال عبد الناصر ، وقبل استقالة الوزير .

وكان عبد الناصر يفاخر بذلك أمام الصحفيين والمراسلين الأجانب ويقول :

– طردت وزيرًا من أجل مفكر .

مجمع الخالدين

وفى أثناء عمله بدار الكتب انتخب فى عام ١٩٥٤ عضوًا فى مجمع الخالدين وهو مجمع اللغة العربية ، الذى كان يسمى وقتئذ باسم المجمع اللغوى ، فى المكان الذى خلا بوفاة عبد العزيز فهمى باشا زميل والده فى مدرسة الحقوق ، ورشح لشغله من بعده واصف غالى باشا وزير الخارجية الأسبق ، فاعتذر عنه . وبذلك جلس الحكيم على مقعد الاثنين .

وفى حفل الاستقبال الذى أقيم له يوم الجلوس على كرسى الخالدين ، حيّا سلفيه العظيمين . وتقدم ببرنامجه ، فقال :

– العمل على تبسيط قواعد النحو واللغة إلى الحدّ الذى يجعل القارئ أو المتكلم يستطيع القراءة والكلام بغير تعثّر ولا تفكّر . فإن مصيبة اللغة حقًّا هى أنها نوع من الشطرنج ، يحتاج فيه المتكلم أو القارئ إلى تأمل فى موضع الكلمة

من العبارة قبل النطق من حيث النطق والإعراب . كما يتأمل لاعب الشطرنج موضع الحجارة قبل التحرك .

ونحن الآن – ولا شك – فى عصر السرعة ، عصر لا يحتمل هذا اللون من اللعب النحوى فى مواقف الجدّ والحرج ، لابدّ إذن أن نصنع شيئًا لتبسيط القواعد إذا أردنا للفصحى حياةً باقيةً متطورة .

واختتم برنامجه بقوله :

– وإن كنت أشك فى أنى أفعل ، وأظن أنكم أنتم أيضًا تشكّون فى هذا الوعيد ، وتقولون : « أبشر بطول سلامة يا مجمع ! » .

وظلّ مديرًا لدرا الكتب خمس سنوات بدرجة مدير عام ، إلى أن أنشىء المجلس الأعلى للفنون والآداب عام ١٩٥٦ فعيّن فيه عضوًا متفرغًا بدرجة وكيل وزارة .

وبدأ رحلة جديدةً فى سلك الوظيفة .